# حول لقب «السفاح» أيضاً

للأستاذ عبد الحميد العبادى

وأخيراً يدلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى دلوه فى الدلاء ويتبرى للبحث عن لقب « السفاح » لمن هو على التحقيق . وقد كتب الأستاذ فى هذا الموضوع ثلاث مقالات نشرت فى الأعداد ٣٤٦ و٣٤٧ و ٣٤٩ من « الرسالة » الغراء . ونحن لا شأن لنا بالمقالة الأولى من هذه المقالات ، لأن الأستاذ ذهب يدلل فيها على أننا مسبوقون إلى تفسير لفظ «السفاح» بالمعطاء المال، وفاته وهو يكتب تلك المقالة أننا قد نزلنا عن هذه الدعوى عند ما ثبت عندنا أن الذين لقبوا الإمام أبا العباس بذلك اللقب لم يقصدوا إلى مدحه بل إلى ذمه ووصفه بأنه سفاك قتال . أما مقالتاه الثانية والثالثة فهما اللتان نعنى بمناقشتهما اليوم . وقد حاول الأستاذ فى المقال الثانى أن يفند قولنا إن أبا العباس لم يكن سفاحاً ، كما حاول فى المقال الثالث أن يبين لنا كيف اختلفت الروايات فى لقب السفاح بين أبى العباس وعمه عبد الله بن على

* * *

ولقد كبر على الأستاذ الصعيدى أن نقول : « إنا رجعنا إلى سيرة أبى العباس قبل الخلافة وبعدها فلم نجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح » فاندفع يرمينا بالغفلة الظاهرة والتجنى على التاريخ ويزعم أن سيرة أبى العباس بعد الخلافة « طافحة » بسفك الدماء ولقد ظننت الأستاذ سيأتى فى الأمر بجديد فإذا به يعزو إلى أبى العباس ثلاثة حوادث: أولها قتله ابن هبيرة غدراً، وهذا قد نبهت أنا عليه فى أول مقال نشرته لى الثقافة فى هذا الموضوع . وثانيها قتله أبا سلمة الخلال، ولم أعد أنا أبا العباس مسئولاً عن هذا الحادث شخصياً ، فالباعث عليه من قبيل ما نسميه الآن تهمة الخيانة العظمى ، ولذلك لم أعتد به على أبى العباس . على أن هذا الحادث قد تولى كبره أبو مسلم الخراسانى من غير مراء . الحادث الثالث قتل أبى العباس سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد أن آمنه ، ولو تتبع الأستاذ قصة هذا الأمير فى أقدم مظانها وأصحها وهو تاريخ ابن جرير الطبرى لعلم أن الطبرى يتتبع أخبار سليمان هذا بكثير من العناية والإسهاب حتى سنة ١٢٩ ثم لا يعود إلى ذكره بعد ذلك التاريخ ، وسياق حديث الطبرى يفيد أن هذا الأمير قتل فى وقعة مرو الشاذان التى كانت سنة ١٢٩ بين جيش ابن معاوية الثائر بفارس وبين جيش ابن هبيرة أمير العراق؛ وإذاً يكون سليمان ابن هشام قد فارق هذه الحياة قبل قتله المزعوم على يد أبى العباس بنحو أربع سنوات على أقل تقدير . وإذاً لا يمكن أن ينسب من هذه الحوادث إلى أبى العباس إلا حادث واحد فقط هو مقتل ابن هبيرة ، وحتى هذا لا يسلم عند تدقيق النظر توجيهاً وتأويلاً . فقد كان ابن هبيرة زعيماً عربياً قوياً ، وكان له حزب عربى عظيم فى مدينة واسط ، وكان أبو العباس يعتقد أنه يرقب الأمور ، ويتربص الدوائر ليثب وثبة ترد عليه ما ضاع منه ، فرأى أن يعاجله قبل استفحال شأنه

ولما لم يجد الأستاذ الصعيدى من حوادث القتل ما يصح أن ينسبه إلى أبى العباس رأساً أخذ ينحله جرائم غيره ، فزعم أنه هو الذى قتل تسعين من بنى أمية كانوا على مائدته بتحريض سديف الشاعر؛ مع أن هذا الحادث الفظيع إنما كان بفلسطين وهو المعبر عنه فى تاريخ الطبرى بيوم أبى فطرس ، والمسئول عنه هو من غير نزاع عبد الله بن علىّ وحده . بل إن الأستاذ الصعيدى ليجعل أبا العباس مسئولاً عمن قتل عبد الله بن على بالشام وداود بن على بالحجاز وسليمان بن على فى البصرة، لأنه هو الذى « سلطهم » على بنى أمية فى البلدان المذكورة . وهذه قصة الذئب مع الخروف معادة بشكل آخر . ولست أدرى على أى مصدر يعتمد الأستاذ فى دعواه هذا « التسليط » فالمصادر لا تذكر إلا لفظ « التولية » على تلك البلدان . والتولية ليس معناها « التسليط » بطبيعة الحال . ثم أين عدالة الإسلام وأدب القرآن الذى يقول « كل نفس بما كسبت رهينة » « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ؟ وأين مبدأ شخصية الجريمة وشخصية العقوبة وهو من الإصلاحات العظيمة التى جاء بها الإسلام ، وكانوا فى الجاهلية ربما أخذوا القبيلة كلها بجريرة فرد واحد منها ؟ الحق أن أبا العباس كما بينت فى مقالاتى

السابقة كان مغلوباً على أمره لأبي مسلم بالمشرق ولعمه عبد الله ابن علي بالشام ، ولو رجع الأستاذ الصعيدي إلى تاريخ الطبري وقرأ فيه سيرة أبي العباس لتبين له ذلك بأجلى بيان ، فلعله فاعل إن شاء الله

ولقد بلغ من حرص الأستاذ الصعيدي على اتهام أبي العباس أن وقع في تناقض عجيب حقاً . فقد كتب في مقاله الثاني يقول : « ولقد كان له ( أي لأبي العباس ) سفاح آخر نسيه المؤرخون ، ولم يكن بأقل من عبد الله بن علي سفكاً للدماء . ذلك هو سليمان بن علي أخو عبد الله وعم أبي العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بني أمية ، فقتل من كان بها منهم وألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب » . وبعد أسطر قليلة يقول الأستاذ الذي يرمينا بالغفلة : « ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصي ما سفك أبو العباس وأعمامه وإخوته ( مع العلم بأن التاريخ لا يعرف لأبي العباس إخوة سفاكين يسأل عن جرائمهم ) من الدماء . ولقد كانوا كلهم شركاء فيما عدا سليمان بن علي فإنه كان أخفهم على بني أمية وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار منهم الخ » والظاهر أن الأستاذ أحس هذا التناقض العجيب وأراد أن يتلافاه فكان تلافيه له أعجب وأغرب ، إذ عقب على الفقرة الأخيرة بقوله في هامش المقال الثاني : « هكذا روى عنه صاحب العقد وهو ينافي ما ذكرناه من قتله من كان في بني أمية بالبصرة ... فلعل هذه الشفقة أدركته أخيراً عليهم » . ولولا أن الأستاذ الصعيدي جاد فيما يقول لقلنا إنه تعمد أن يورد في هذا البحث الذاهي فصلاً مضحكاً يرفه به عن القراء

والواقع أنه لا أبو العباس ولا عمه سليمان بن علي يمكن أن يوصفا بأنهما سفاحان سفاكان ، وذلك لسبب واضح هو أنه لم يكن في العراق في وقتهما أمويون يمكن أن يبسطا إليهم يد القتل والمثلة . فمن يتعمق درس التاريخ الأموي يعلم أن العراق لم يكن في وقت من الأوقات موطناً لبني أمية وبخاصة في أخريات عهدهم عند ما انبثقت عليهم فيه البثوق التي زعزعت ملكهم ، وكادت تأتي على سلطانهم قبل زحف العباسيين من المشرق . إنما كان موطن بني أمية ومحل عصبيتهم الشام ثم الحجاز . فإذا سكتت المصادر التاريخية القديمة عن أن تنسب إلى أبي العباس قتل بني أمية أو قال صاحب العقد إن سليمان بن علي كان شديد الحنو على من يلجأ إليه من بني أمية ، كان هذا السكوت وذلك القول هو المعقول والمتفق وحقيقة الحال . وإذا اقتصر الطبري على ذكر من قتل الأمويين إنه إنما كان في الشام والحجاز كان ذلك منطبقاً على الحقيقة والواقع

مما تقدم يرى القارئ أن الأستاذ الصعيدي على عنف محاولته « إدانة » أبي العباس وتسويغ تلقيبه بالسفاح لم يكن موفقاً ، بل هو لم يخرج في واقع الأمر قيد شعرة عن مضمون قولنا : « إن سيرة أبي العباس قبل الخلافة وبعدها لا تسوغ تلقيبه بالسفاح بحال من الأحوال »

* * *

ولننتقل الآن إلى مناقشة موقف الأستاذ الصعيدي من المصادر واختلافها في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبدالله بن علي . وهو موقف عجيب حقاً ، فالأستاذ الصعيدي ينظر إلى المؤرخين والأدباء الذين تعرضوا لسيرة أبي العباس وأخباره نظرة واحدة ، ويضمهم في مرتبة واحدة من حيث العدالة والضبط والحجية ، لا فرق عنده بين متقدم ومتأخر ، وبين متخصص في الرواية التاريخية وغير متخصص فيها ، وبين من يتتبع الرواية بإسنادها إلى من شهد الواقعة ومن يتسقط الأخبار من هنا وهنا . وما هكذا كان السلف الصالح من علماء المسلمين . فإنهم كانوا يزنون الرجال والأخبار بأدق موازين النقد ؛ وما علم الحديث منا ببعيد ، فقد رجحوا كتاب البخاري على غيره من كتب الحديث ، لأنه أقل من غيره رجالاً تُكلم فيهم بالضعف ، وأقل من غيره أحاديث شاذة أو معلولة . فإذا جئنا إلى التاريخ ، وجدناهم يقولون : إن أصح التواريخ تاريخ ابن جرير ، وإن كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري لم يؤلف مثله في موضوعه ، وإن طبقات ابن سعد أقدم وأعظم كتاب في السيرة وتاريخ الصحابة والتابعين . وقالوا في ابن قتيبة إنه قليل الرواية

ولقد أدى هذا الموقف الأستاذ الصعيدى إلى نتيجة هى عجب من العجب ، فالمصادر التى لقبت أبا العباس بالسفاح صادقة لأن ، أبا العباس عنده سفاح ، والمصادر التى لقبت عبد الله بن علىّ بنفس اللقب صادقة لأنه كان سفاحاً . والمصادر التى سكتت عن تلقيب هذا أو ذاك باللقب المذكور لا يصح الطعن بها فى رواية المصادر التى ذكرت هذا اللقب « لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ » وهى قاعدة مشهورة عند الأزهريين ويقول الأستاذ إنه لا يمكن أن أجادل فيها . وأنا لا أجادل فى القاعدة ولكن أجادل فى تطبيقها فليس هذا محل تطبيقها ، والمسألة ليست مسألة حفظ وتضييع ، وإنما هى مسألة تخليط وعدم تخليط ، فهل يسلم الأستاذ بقول من يقول « إن من خلط حجة على من لم يخلط » ؟

أما نحن فنظرنا إلى المصادر نظرة نقد وتقدير كما فعل الأقدمون من علماء الحديث ؛ فوجدنا أن أقدمها وأوثقها وأشدها تخصصاً بالرواية التاريخية لا تلقب أبا العباس بالسفاح، وتصور هذا الخليفة فى الصورة التى أجلناها غير مرة ، ووجدنا المصادر التى شوهت صورة هذا الخليفة ولقبته بالسفاح ونسبت إليه الفظائع هى من وضع رجال ليسوا متخصصين فى الرواية التاريخية الجدية ولا معروفين بالعدالة والضبط اللذين يعرف بهما أصحاب الرواية التاريخية القديمة كابن سعد والبلاذرى والطبرى وغيرهم . هذا هو موقفنا بإزاء المصادر القديمة من حيث موضوع « السفاح »

وبعد فلئن كنت حزنت لشئ وأنا أقرأ المقال الثالث والأخير للأستاذ الصعيدى فلقد حزنت للعبارة التى علق بها على جملة لابن العبرى المؤرخ المسيحى المتدين الزاهد . فقد قال ابن العبرى : « وكان أبو العباس رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه يكره الدماء ويحامى على أهل البيت » فعلق الأستاذ الصعيدى على ذلك بقوله : « إن هذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم » مع أن المؤرخ وهو يترجم لأبى العباس لم يسند إليه حادثة قتل واحدة ، ومع أن تاريخه السريانى المطول والمترجم إلى الإنجليزية لا يلقبه بالسفاح مطلقاً .

عبد المجيد العبادى

*من وحى الفوضى !*

# الدكتور مبارك يناظر

## للأستاذ شكرى فيصل

منذ أيام وقف الدكتور « زكى مبارك » يناظر الأستاذ « لطفى جمعة » فى موضوع : « يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الاجتماعية » . وكان طبيعياً أن يؤيد الدكتور المبارك هذه الفكرة وأن ينتصر لها ، ويدافع عنها ؛ ويجرد حملاته على خصومها ، ويسوق عليهم القوى والهجمات من منطق العقل ومنطق العواطف

وقد ود الناس لو سمعوا الدكتور خطيباً يرتجل حججه وسط هذا الحماس المضطرم ، وينتزع آراءه من قلب هذا التيار العاصف ، ويمتع سامعيه بلفتاته الذهنية البارعة . ولكن الدكتور زهد — كما يقول — فى البراعة الخطابية ، فانصرف عنها ، وأوى إلى قلمه فى ساعة من ساعات الفوضى والاضطراب فكتب خطابه فى دائرة محدودة وصفحات معدودة ونهج بيّن

وكان هذا فى الواقع صدمة شديدة الأثر ... تناثرت معها أمانى وأحلام . فالناس يعجبهم من هذه المناظرات أنها متعة من متع الفكر ، يستفيق فيها الحس ؛ ويتفتح معها الذهن وتضطرم فيها الحياة ، وتنبثق فى خلالها المعانى والخطرات كما ينبثق الماء النمير فإذا هم — هذه المرة — فى نطاق من الفكر ، وفى مدى من الجدل ، وفى مجال ضيق قد رسمت فيه الخطوط ، وعينت الاتجاهات وصدرت عن أصل مكتوب

ولئن فات الناس أن ينعموا ببراعة الدكتور الخطابية التى زهد فيها ، فقد عوضهم أن يروا نظارته المزدوجة (المتفلسفة) من فوق عينيه (١)

* * *

وأنا أشهد يا سيدى الدكتور أنك استطعت أن تأسر الناس ، وأن تأخذهم بالإعجاب بك ، والتصفيق لك ، والانسياق معك

(١) الدكتور يدعى أن لكل فيلسوف نظارتين . وأن له مثلهما !